التعريب بين الحداثة والأصالة – البيتكوين أنموذجًا

جمانة محمد مراد

باحثة لغوية ودينية

عندما بدأت بتسطير العنوان أشار جهاز الحاسوب (الكمبيوتر) إلى خط أحمر تحت كلمة (البيتكوين) وهذا معناه أن الكلمة ليست في قاموس اللغة العربية.

مما لا شكّ فيه أنّ اللغة العربية لغة الوسع وقضاء حاجات عشّاقها من التطور والتقدّم في كلّ مجالات الحياة، ولا أحد ينكر فضل اللغة العربية وسموّها على اللغات الأخرى في البلاغة واحتواء كلّ جديد. فالحروف الأصلية أو الجذر الأصلي للكلمة شديد المرونة لتكوِّن الاسم والفعل والمصادر والمشتقّات وأسماء الفاعلين وأسماء المفعولين وأسماء الآلات ... الخ.

ولا يختلف اثنان أنّ تعدُّدَ الألسن واللغات آية من آيات الله العظام، ألا ترى قوله تعالى: **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** (الروم: ٢٢).

والألسن هي اللغات الرومية والفارسية والعبرية والعربية وغيرها...

ومما لا شكّ فيه أيضًا أنّ اللغة العربية استعارت من اللغات الأخرى بعض المسميّات وهذا ما ظهر في ربّ الفصاحة والبيان؛ القرآن الكريم.

وقد وردت بضع كلمات في القرآن الكريم مأخوذة عن لغات أعجمية مثل سندس (الحرير الرقيق) واستبرق (الحرير الثخين)، قال تعالى: **أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** (الكهف: ٣١).

أمّا التعريب فمعناه:

– لغة: أعرب وعرّبَ وعرَبَ: معناه **أفصح وأبان، ومنه قوله تعالى: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** (الشعراء: ١٩٥).

والعروب: المرأة تعرب عن حبها لزوجها فتنقل مشاعرها ولا تخفي حبّها عنه دون تزييف من قلبها والجوى إلى لغة الإفصاح واللسان والإبانة. ومنه وصف الله تعالى لنساء الجنة عربًا أترابا، قال تعالى: **عُرُبًا أَتْرَابًا** (الواقعة: ٣٧).

– في الاصطلاح: هو نقل الكلمة الأعجمية إلى اللغة العربية دون تحريف أو تغيير، ونقصد بالكلمة المنقولة هنا الاسم دون سواه من لوازم الجملة وأفعالها وروابطها الاسم فقط.

وتبقى الجملة بفعلها وحروفها كما هي.

ولعلّ قائلاً يقول: إنّ الله قادر بلغته العظيمة أن يخرج لنا من اللغة كلمات عربية دون اللجوء إلى المعرّبة.

وللإجابة عن هذا التساؤل، نجيب: إنّ الله خلق الألسن وهو الذي أوحى إليها لغاتها وهو أعلم بشؤون عباده ألم ترَ أن القرآن قد أخذ من لهجات العرب أيضًا وقرأ الرسول الكريم القرآن بعدة لهجات؟

وكُتب الكثير من الكتب والمؤلفات حول التعريب والألفاظ المعرّبة نذكر منها على سبيل المثال: كتاب ابن برّي، وابن ظفر، درّة الغواص والحواشي عليها.

وحقيقة لا تنكر أن الكلمات المعرّبة دخيلة على لغتنا لكنه دخول لابدّ منه وهو لا يسيء إلى لغتنا البتة.

ومما لا يعلمه الكثيرون أن ألفاظ النقود – وهذا هو بيت قصيدنا – هي بمسمّياتها أعجمية ألا ترى كلمة درهم ودينار وفلس وجنيه ألفاظها غير عربية؟

وفي الحقيقة، إن اللغة العربية تتطور وتتقدم بطريقين اثنين ولها مدرستان اثنتان:

١– مدرسة الاشتقاق.

٢– مدرسة التعريب.

أولاً – **الاشتقاق**: الاشتقاق لغة: هو عِلْم يبحث في تَوالُد الكَلِمات صُعودًا من وَضْعها الحاضِر إلى أبعد وَضْع لها مَعْروف. والاشْتِقاق في العربيَّة ثلاثة أَنْواع:

١– اشتقاق صَغير: وهو أن يكون بين المشتَقِّ والمشْتَقّ منه تَناسُب في المعنى وتَرْتيب الحروف، لا في الصِّيغة كالضَّرْب وضَرَب، ونقد وانتقد، ومال وتموّلَ ومموِّل.

٢– اشتقاق كبير: وهو أن يكون بينهما تَناسُب في المَعْنى والحُروف، لا في التَّرْتيب كجَبَذَ وجَذَبَ، وبحرٌ حبرٌ ربحٌ وهو أن يكون بينهما تَناسُب في مَخارِج الحُروف فقط كَنَعَقَ ونَهَقَ.

٣– اشتقاق أكبر: ويكون بين اللفظين ويكون تناسب في المخرج يتبع لفظًا، نحو نعق ونهق ونعب، همس، همش...

٤– النّحت ويسمّى الاشتقاق الكُبّار: وهو جعل جملة أو تركيبًا في كلمة واحدة مثل عبد شمس تصبح عبشمي، وعبد الدار تصير عبدري، وبعل وبك بعلبكّ، وساء من رأى تصبح سامراء، وحضر الموت حضرموت وهكذا دواليك.

وقد حافظت هذه المدرسة على الاشتقاق من جذور الكلمة العربية في التحديث وما يدخل على لغتنا من مفردات تمخّضت عن الاختراعات الحديثة والتقنية الجديدة فقد اشتقّت أسماء الآلات الحديثة من جذور اللغة مثل (غ س ل): غسّالة ومغسل ومغسلة وأوزانها فعّالة ومفعَل ومِفعلة، ومن جذر(ب ر د): برّاد ومبرِّد على وزن فعّال ومُفعِّل، ومن الجذر (ه ت ف) هاتف على وزن فاعل، ومن الجذر (ج و ل) جوّال على وزن فعّال وهكذا...

ثانيًا– **التعريب**: أما المدرسة الأخرى فهي مدرسة التعريب: وفيها يحقّ للغوي أن ينقل من اللغة الأعجمية أيًا كانت مسمّى شيء بحروفه دون مساس بلهجته ولغته كما وجد هذا في أسلوب القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأشعار العربية.

ألم تقرأ كلمة دراهم في القرآن الكريم؟: **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ** (يوسف: ٢٠).

وكذلك تقرأ في القرآن الكريم في آية أخرى: **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (آل عمران: ٧٥).

وترى أيضًا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعار كلمة الفلس والدرهم والدينار في أحاديثه الشريفة، يقول: **(أتدرون من المفلس؟)** قالوا: المفلس من ليس له درهم ولا دينار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه، ثم طرح في النار)**.

والفلس والإفلاس كلمة معرّبة إلى درجة أصبح لها جذر في اللغة العربية: فلّس ومفلِس وإفلاس أفلس الرجل إذا خسرت تجارته، وهي كلمة رومانية: (عملة برونزية أدخلت إلى الامبراطورية الرومانية أثناء الإصلاح النقدي الذي قام به ديوكلديانوس عام (٢٩٤) تزن حوالي ١٠ غرامات وتحتوي على ٤٪ من الفضّة).

كما أن أصل الدرهم والدينار من لغات فارسية أو رومانية أو حتى يونانية دراخما فلا فرق هنا أن نحدد أصلها فهي تصب في جدول واحد هو الأعجمية، لكن لا بأس ببعض المعلومات:

- يقال إن أصل الدينار في لغة روما ديناريوس دينار وجمعها باللاتيني ديناري، صكّت للمرّة الأولى عام ٢١١ ق.م.
- وقد استعمل الرسول كلمة دينار ودرهم في حديثه الشريف عن التحذير من الربا قال: **(الدينار بالدينار لا فضل بينهما والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما)**.
- وقال أيضاً: **(تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار)**.
- وذكر الدرهم والدينار في أشعار العرب مثيل ذلك قول عنترة العبسي يصف الروضة:

جادَتْ عليها كلُّ عينٍ ثرّة فتركْنَ كلَّ قرارةٍ كالدرهمِ

وقول المرقّش يتغزّل:

النشرُ مسكٌ والوجوهُ دنانيرُ وأطرافُ الأكفِّ عنمُ

وقال محرز بن المكبر الطبي يمدح قوماً:

كأنّ دنانيراً على قسماتهم وإنْ كان قد شفَّ الوجوهَ لقاءُ

ويقول أحدهم:

إنّ الدراهم في المواطن كلّها تكسو الرجال مهابة وجلالاً

فهي اللسان لمن أراد فصاحةً وهي السلاحُ لمن أراد قتالا

أما البيتكوين فهي عملة رقمية مؤمنة عن طريق التشفير يجري التعامل بها خارج ولاية سلطة مركزية نشأت عام ٢٠٠٩ على يد شخص مجهول الهوية سمّى نفسه ساتوشي، وهي أول عملة رقمية لامركزية من غير وجود بنك مركزي.

– أما مخاطرها فهي :

١– التعرض للاحتيال الافتراضي .

٢– التعامل فيها غير رجعي .

٣– تستخدم في أنشطة غير قانونية .

ومن فوائدها :

١– أصبح البيتكوين بديلاً جيداً عن الاستثمار .

٢– جزءاً من عملة قابلة للتداول .

٣– جرت دون وسيط في المعاملات الدولية .

وأنا هنا لست بصدد الدفاع عن هذه العملة فهي مثل غيرها قد تكون سلاحًا من حدّين تستخدم حلالاً وحرامًا، أنا هنا لأخبركم أن اللفظ (بيتكوين) لا بأس باستخدامه وإضافته إلى العربية كما أضيف الدرهم والدينار والفلس والمليون والمليار والترليون و...

فنقول بيتكوينًا عربيًا كما قلنا : دينارًا عربيًا أو كويتيًا أو أردنيًا أو عراقيًا أو درهمًا عربيًا أوإماراتيًا أو جنيهًا مصريًا أو ليرة سورية أو لبنانية أو . . .

فلا ضير في استخدام المسميّات والمسميّات فقط وبعثها في الجملة أو المقالة العربية داخل قوسين أو حاصرتين .